

آجنس

تألیف تشارلز دیکنز

انقضى العام ودارينا يد البلاد ولا ذلت مقيمها بمنزل الأسرة حيث سلخت زمناً فارب
الشهرين أو حازماً ، كثيراً ما رأيت آجنس في غضونهما . وكان صوت قلبي يدوي بالنداء
كالرعد في داخلي فأمتنع ، شجاعة وجرأة ، وتعيش الموافظ مشبوهة بصدره ويلتئرني ما
أبلنه من جهد في هذا السبيل . فقد كانت أفعى كلات المدجع تضمّن عميق فلا أعود أسمع قولاً
عداها . كان من مادي أن أذهب إلى حيث تقيم آجنس محتياً صهوة جوادي سرة واحدة
على الأقل كل أسبوع وأحياناً تتعدد الزيارات فانقضى الماء هناك . وكانت أقفل راجحاً في
الليل غالباً — وكان الشقاء يلاحقني فامتشعره كثاؤر يحوم حولي ويملىء فوق وأسفي وكنا
ونحن نتعاقب لنفترق أحسن بصرة من الأوعة والأسمى ومع ذلك فقد كنت أرتاح لذلك لأنه
كان خيراً لي من التي في فيافي المسامي المحيق وأنا في يقطة تنقل كاهلي حيث أكون هائماً
للحالم بالسنة مؤلسة . وقد ملئت عدداً عديداً من البالى المديدة التي أقتلنتي وطأها والتي
كنت أغيرى المأكحت وترها فقد قضيتها مشرداً ألا يبلل المطر و كنت أجدد في تلك
النزعات الليلية الأفكار التي كانت تخطلي عنها أسفاري الطويلة البعيدة .

لوقلت إني كنت أمعن لصدى تلك الأفكار التي ترددت في حناباً كدى المارة أكون قد أحنت التعبير عن سادق خلجان شسي . كانت هذه الأفكار ترسن في أذني كعفيف
أوراق الشعر تحمله الريح من بعد وقد أقصيتها عني ورضيت لنفسى بعدها . وعندما نظرت
إلى وجه آجنس ورأيت إعلامات الاصطدام مرئية في حركاته أقرأت لها ما كتبته عنها فتعبرك
عواطفها وانبسطت أصابعها واحتارت الابتسامات بين هفتتها وصلت الدموع في ما فيها
وسمعت صورتها المخنوقة يرن وينبئاً صادقاً متنبئاً من ماضي الموادت العامة في دنيا الطبال
التي عشت فيها زماناً وكانت أفكرة في المعير الذي ينتظري كاً كانت أنكر فيه بعد أن
زوجت من « دورا » وهل كان يوصي أن تكون زوجي كما أريد ما ؟ !

إن ولحي نحو آجنس التي أحتني حسناً لا يمكنني الغفر من شأنه وإلاً أكون قد
ارتكتبت خطأً فاحشاً يظهرني في صرف وأثره . ولكن ينتمي إلى مقدوري أن أعود فأجدد

ما بلي منه فقد رسمت زواجي بيدي وغنمـت ما تاقتـ إلـيـ نسي فأصبح لاحـنـ ليـ فيـ أـنـ ذـرـ، وـحـقـ عـلـيـ أـنـ أحـتـملـ وأـمـبـرـ ذـرـعـتـ ماـ أـحـسـتـ وـحـفـظـتـ ماـ تـعلـمـتـ ولـكـ حـمـاـ قدـ عـلـكـ تـلـيـ وـصـارـ عـرـاـيـ فـيـ حـنـتـيـ الـحـاضـرـةـ وـإـنـيـ فـيـ غـوـسـ لـاتـبـيـ أـنـ يـوـمـ مـوـعـدـاـ حـيـاـيـ وـأـنـيـ ذـكـ الحـبـ دـيـنـاـ عـلـيـ مـنـ غـيرـ لـوـمـ أـنـيـ أـوـعـبـ يـلـتـقـيـ سـيـجـيـ هـذـاـ الـيـوـمـ عـنـدـمـاـ يـزـولـ مـاـ أـنـاـ فـيـهـ وـعـنـدـمـاـ تـلـفـظـ شـفـتـايـ اـسـمـ «ـآـجـنـ»ـ وـقـدـ حـلـ ذـكـ الـيـوـمـ بـعـدـ عـودـتـيـ إـلـىـ مـنـزـلـ الـأـسـرـةـ وـقـدـ تـقـدـمـ بـيـ الـعـرـ وـمـاـزـلتـ عـلـيـ عـهـدـيـ يـالـبـلـ الـأـولـ.

كـاتـ آـجـنـ كـمـهـدـيـ بـهـاـ فـلـمـ يـدـ عـلـيـهـ تـهـيـأـ فـيـ خـلـقـهـاـ فـلـاـ زـالـتـ مـخـفـظـةـ بـجـمـيعـ صـفـاتـهاـ وـخـلـاطـاـ.ـ وـلـقـدـ كـانـ لـيـ مـعـ عـمـيـ حـدـيـثـ فـيـ هـذـاـ الشـأـنـ مـنـذـ الـيـةـ الـقـيـ عـدـتـ فـيـهـاـ.ـ لـأـمـيـهـ كـبـيـراـ لـعـوـاطـيـ الـجـامـعـةـ أـوـ تـفـادـيـاـ الـخـوـزـنـ فـيـهـاـ قـدـ كـانـ أـقـرـبـ إـلـىـ التـفـامـ بـيـنـهـاـ وـيـنـيـ فـيـهـاـ تـحـمـلـ دـائـمـيـ مـنـ أـنـكـارـ وـأـدـاءـ لـمـ تـصـعـ كـلـاتـ بـدـ.ـ فـلـاـ جـنـ الـبـلـ أـخـذـنـاـ بـلـ حـلـنـاـ حـوـلـ الـمـدـفـأـ وـكـثـيرـاـ مـاـ ضـمـنـاـ هـذـاـ الـجـمـعـ كـاـمـ هـادـهـ الـأـسـرـةـ دـوـنـ تـكـلـفـ جـنـاـاـ إـلـىـ جـنـ كـاـمـ كـنـاـ دـاعـمـاـ ثـانـيـ القـولـ عـلـىـ عـوـاهـهـ وـإـنـ كـانـ تـحـجـرـ لـهـاتـ صـمـتـ لـمـ يـعـكـرـ صـفـرـهـ.ـ وـإـنـ لـمـ يـقـيـنـ أـنـهـاـ قـدـ قـرـأـتـ أـذـكـارـيـ أـوـ عـلـىـ الـأـقـلـ جـزـءـاـ مـنـهاـ وـوـعـتـ جـيـداـ لـمـاـ تـوـجـيـتـ أـنـ الـمـرـضـوـعـ لـأـرـقـيـفـاـ دـوـنـ تـحـدـيدـ.

أـفـلـ عـبـدـ الـبـلـادـ وـلـمـ أـعـدـ مـوـضـعـ النـقـةـ مـنـ «ـآـجـنـ»ـ وـكـانـ الشـكـ فـيـهـ إـذـاـ كـانـ يـحـوـلـ بـخـاطـرـهـ ماـ يـجـيـشـ بـصـدـرـيـ مـنـ أـحـاسـيـنـ جـارـحةـ تـهـشـ شـعـافـ قـلـيـ وـخـشـيـتـ أـنـ تـخـانـخـيـ عـاـتـلـمـ فـاـكـمـ لـهـ،ـ فـاـتـرـتـ الصـمـتـ وـبـدـأـتـ أـفـرـ وـقـرـ مـاـ أـلـىـ مـنـ عـنـتـ،ـ فـهـذـهـ حـالـاـ وـقـدـ أـذـرـتـ الـرـابـحـ تـضـحـيـقـيـ أـدـرـاجـهاـ فـلـمـ أـفـ بـعـدـ حـيـ فـأـجـبـلـتـ كـمـهـدـيـ مـنـ قـبـلـ وـلـمـ أـخـطـ خطـوـةـ وـإـنـ فـصـرـ أـمـدـهـ سـفـرـتـ رـأـيـاـ عـلـىـ أـنـ اـجـلـ مـرـقـيـ وـأـزـيـخـ الـحـواـجـزـ مـنـ طـرـيقـ إـذـاـ فـاتـ بـيـنـاـ وـأـذـلـلـ الصـعـابـ،ـ الـيـ تـحـوـلـ دـوـنـاـ بـيـدـ حـازـمـةـ حـارـمـةـ.

لـقـدـ كـانـ يـوـمـاـ يـاـلـهـ مـنـ يـوـمـ خـالـدـ فـيـوـنـوـفـ ذـكـرـهـ وـلـنـ أـنـهـاـ أـبـدـاـ أـغـرـ منـ فـيـنـ الشـتـاءـ سـقـطـ فـيـ الـجـلـيدـ مـاـعـاتـ مـتـوـالـيـ فـنـطـلـيـ أـدـيمـ الـأـرـضـ بـطـبـقـةـ جـامـدـةـ صـلـبـةـ مـنـ الـبـلـوـ الـمـتـحـجـرـ وـكـانـ الرـيـحـ تـهـبـ عـلـىـ الـبـرـ،ـ حـيـثـ تـنـلـ نـافـذـيـ،ـ طـاصـفـةـ هـوـجـاهـ حـوـبـ الـخـنـوبـ وـكـنـتـ أـغـلـاظـهـ تـهـبـ فـتـكـتـسـ هـذـهـ الـجـيـالـ الـلـجـيـهـ مـنـ طـرـيقـهـ فـيـ بـلـادـ السـوـنـرـ اـفـلـاـيـاتـ عـلـيـهـ تـدـمـ الـأـسـانـ وـأـمـائـلـ نـسـيـ أـيـهـاـ أـكـثـرـ وـحـشـةـ هـذـهـ الـأـقـالـيمـ الـنـائـيـهـ أـمـ الـعـيـطـ الـمـجـورـ الـذـيـ أـنـجـبـتـ فـيـ لـهـ.

تـاتـ عـمـيـ أـخـارـجـ أـنـتـ فـيـ زـرـهـ الـبـرـ عـلـىـ شـمـرـ جـوـادـكـ «ـبـاـرـوـثـ»ـ وـمـيـ تـشـرـئـ بـرـسـهاـ دـاخـلـ فـتـحـةـ الـبـابـ.

نعم يا عمتاه إن راحل إل كتروري فإنه يوم تطيب فيه الزهرة، فأجابت عمتي «أرجو أن يكون جوادك من رآهك أيضًا ولكنه يطأطئ رأسه وأذنيه إل الأرض وقد وقف أيام بوابة المظيرة ويدو عليه أنه يفضلها». وكانت عمتي كلاما لاحظت تحب الجيد وتحنها عطشها.

أما الحير فلم يكن لها نصيب من هذا المطاف. صرف ينتعش قدرًا كائناً بعد قليل، وعقيبت عمتي بقولها: إن الزهرة تطيب لها نفس سيدة على أيام حال، ثم ألت نظرة سريعة على الأوراق الملقاة على النضد وقالت: آه ياطلي العزيز أنت تقضي ساعات طيبة هنا فاني لم أفكر قط في الجهد العاقد الذي يتكمده مؤله الكتب عند ما أثروها فأجريت إن القراءة جهد مذكور. أما الكتابة فلها معجزتها وجمالها باعتماه.

فأجابت عمتي: آه لقد فهمت، بأن الطمرين والرغبة في الاندماج في خيوط المجتمع الذي نعيش فيه والتعاطف بين الناس وغير ذلك من الشعور الإنساني سوف تكون من مخلالك على ما أظن، فرققت أمامها في تأبد باه وسأتها:

هل تعرفي أكثر من هذا عن صلبي يا جنس؟ فربت على كتفني وجلاست مكانى حتى مقعدى ونظرت إلى وجهي نترة وجيزة قبل أن تحيب، أظن أنى أعرف يا تروت، فأيتها:

وهل أنت واقفة مما بندنك من أثر؟ أظن ذلك يا تروت. ونظرت إلى في جأش رابط نظرة يشوبها اللذك أو هي الشفقة بي أو الحنة من أمري وما تحمل لي من حب، ثمغزى هذا السلوك على أن استجمع ذواي ذاخني ما أنا فيه وأبدو منحر الصدر منبط الآمارير.

ثم ما هو أكثر من ذلك، يا تروت قالت عمتي نعم! أظن أن آجنس على وشك الزواج فأجابت في الشرح لياركها الله. فأجابت عمتي قلياركها الله هي وزوجها مما. فردت ما قالت عمتي وتركتها وهبطت الدرج في خفة واعتلت ظهر جوادي وانطلقت في مدخلى.

وكان لدى عذر أقوى من أي عذر مفعى لأن هذه ما عزمت عليه، إني أذكر هذه الزهرة الشتوية بكل خير وفضل، وكانت ضربات حواري الجواد الصلبة توقع لمنها جيلا على نصال الحدائين وتلتفع بها وجهي، وكانت ضربات حواري الجواد الصلبة توقع لمنها في خفة على الأوراق الصلبة التي لا تعلم فيها فأس التهلاح وازلاق الجلد وهو ينحدر متبعها في خفة وسرعة في سخر الطباشير وقد دفعتها دفعا هيناً ليتنا رفيناً رفيناً هبات النسم كما تدفع أوراق الشجر. وقد توقفت على قمة الكل عربة الدرس ايايس عن الميد وراحت تفتت خيوطها الدخان من أنفاسها وأنوفها وغلاً صدورها بالهواه ونوائها المعنقرة تردد في جرس موسعي وكانت

التحذيرات ناسعة البياض وكمام الثرى الرخو تحيط فوقها ويمتها الـ ساء المظلمة فتبعد
كوحـة مصوـرة رمـتها يـد فـنان عـلى صـفـحة لـوحـ هـائل من الأـرـدـوازـ.

وـجـدتـ آـجـنسـ وـحـيـنةـ بـحـابـ المـدـفـأـةـ قـدـ اـنـصـرـتـ الصـفـيرـاتـ إـلـىـ مـخـادـعـهـ،ـ
ـلـمـاـ أـبـصـرـتـ بـيـ دـاخـلـاـ أـلـقـتـ الـكـتـابـ جـانـبـاـ وـجـيـتـ كـعـادـهـ،ـ ثـمـ تـاـولـتـ سـةـ عـقـلـ الـأـبـرـةـ
ـوـجـلـسـ فـيـ أـحـدـيـ التـوـافـدـ الـعـيـنةـ،ـ وـجـلـتـ بـجـوارـهـ تـمـعـدـتـ فـيـ أـفـوـمـهـ مـنـ أـهـمـالـ
ـوـلـوـاـقـيـتـ أـنـيـ أـعـمـلـ فـيـهـ وـعـاـ أـحـرـزـتـ مـنـ نـجـاحـ مـنـ زـيـارـيـ الـأـخـيـرـةـ طـمـ وـقـامـتـ آـجـنسـ فـرـحةـ
ـمـنـسـطـةـ الـأـسـارـيـرـ وـأـلـمـتـ مـنـ خـلـالـ حـمـكـاتـهـ أـنـيـ سـوـفـ أـغـدوـ وـشـيكـاـ حـمـةـ فـيـهـ أـتـحدـثـ فـيـهـ
ـمـنـ شـوـنـ.ـ قـاتـ آـجـنسـ وـلـذـاـ فـيـ أـشـعـمـ بـحـلـ الـرـوـقـ كـاتـرـىـ وـأـتـحدـثـ الـبـلـكـ كـاـ يـجـبـ.

ـوـيـةـ أـنـاـ أـتـلـعـمـ إـلـىـ وـجـهـاـ الـجـيلـ وـأـرـاقـبـ عـمـلـهـ رـفـعـتـ عـيـنـيـاـ السـادـجـيـنـ وـهـاـ فـيـ صـفـاءـ
ـالـنـدـيـ الـمـدـابـ،ـ فـرـأـتـ أـنـيـ أـخـالـهـ النـظـرـاتـ.ـ إـنـكـ سـاـمـ الـبـيـوـمـ يـاـ تـرـوـتـ وـوـدـاـ.

ـآـجـنسـ هـلـ آـنـ آـبـوـحـ لـكـ بـاـ يـشـغـلـ بـالـ؟ـ فـقـدـ جـهـتـ لـأـفـضـيـ لـكـ بـدـخـلـةـ قـلـيـ،ـ فـأـلـقـتـ
ـعـلـمـلـهـ جـانـبـاـ كـاـ اـعـتـادـتـ أـنـ تـقـعـلـ وـنـعـنـ تـاقـشـ أـمـرـاـ جـادـاـ وـأـصـفـتـ إـلـىـ إـمـخـاءـ تـامـاـ.

ـهـلـ يـخـارـكـ عـلـكـ فـيـ إـيـانـ أـخـلـاصـيـ لـكـ يـاـ عـرـيـزـ فـيـ آـجـنسـ؟ـ فـأـجـابـتـ لـأـنـاـ كـاـ عـهـدـتـيـ.
ـهـلـ تـذـكـرـيـ أـنـيـ ذـاـتـ مـرـةـ خـدـ مـاـعـدـتـ مـنـ صـفـريـ حـاـلـتـ آـنـ أـكـفـ لـكـ عـنـ سـرـيـوـزـ؟ـ
ـأـيـ دـيـنـ مـنـ الـكـرـ يـطـوـقـ عـنـيـ وـأـيـ شـعـورـ دـافـقـ أـشـعـرـ بـهـ تـحـوـلـ.ـ فـأـجـابـتـ فـيـ رـفـةـ إـلـيـ
ـأـذـكـرـ ذـلـكـ جـيـلاـ.

ـوـلـكـ تـطـوـرـنـ عـلـىـ سـرـ فـدـعـيـيـ أـفـاعـيـكـ حـمـلـ يـاـ آـجـنسـ.ـ فـأـذـيلـتـ عـيـنـيـاـ وـسـرـتـ رـعـشـقـ فـيـ يـدـنـهاـ.
ـلـمـ يـكـنـ فـيـ طـاـقـيـ يـاـ آـجـنسـ أـنـ أـعـرـفـ إـلـاـ بـعـدـ عـنـاءـ حـتـىـ وـلـوـ كـانـ الـفـنـانـ الـنـانـ تـعـنـيـانـ
ـالـقـولـ إـلـىـ سـعـيـ هـاـ هـفـنـاكـ وـهـذـاـ قـدـ يـدـوـغـرـيـاـ.ـ فـإـنـ كـانـ هـنـاكـ آـخـرـ قـدـ أـفـعـتـ عـلـيـهـ كـنـوزـ
ـحـبـكـ الـنـمـيـةـ فـلـاـ تـحـرـمـيـيـ أـنـ أـهـارـكـكـ أـمـرـاـ عـنـ سـعـادـكـ عـنـ قـرـبـ.ـ فـإـذـاـ كـانـ فـيـ مـقـدـورـكـ
ـأـنـ تـقـاطـيـ فـقـتـكـ بـيـ كـاـ تـقـوـيـنـ وـكـاـ أـعـهـدـ فـيـكـ فـدـعـيـيـ أـكـنـ لـكـ الـصـدـيقـ أوـ الـاخـ فيـ شـائـنـ
ـهـذـاـ وـفـيـ عـدـاهـ مـنـ شـرـوـنـ.

ـاسـتـوـتـ قـائـمـةـ وـغـادـرـتـ النـادـيـةـ حـيـتـ كـاتـ تـأـخـذـ عـلـمـهـ وـفـيـ عـيـنـيـاـ حـنـينـ أـوـ عـقـبـ
ـوـأـمـرـتـ الـخـاطـيـ فـيـ الـفـرـقـةـ وـأـنـطـلـقـتـ لـاـتـدـرـيـ إـلـىـ أـيـنـ وـقـدـ غـطـتـ وـجـهـاـ بـرـاحـتـيـاـ وـأـسـتـخـرـتـ
ـفـيـ بـكـاءـ مـرـقـعـ مـنـ شـفـافـ الـقـلبـ.ـ وـرـغـمـ مـاـ أـلـقـيـ بـكـاؤـهـ فـقـدـ أـثـارـ الـأـحـامـيـنـ فـيـ تـقـيـ وـعـادـ
ـبـالـأـمـلـ إـلـىـ قـلـيـ وـلـمـ أـدـرـ لـهـكـ مـيـدـاـ وـأـحـلـتـ دـمـوعـهـ بـاـتـسـامـهـ الـهـادـيـةـ الـخـرـيـةـ وـقـدـ اـرـتـسـتـ
ـعـيـقـةـ باـقـيـةـ فـيـ ذـهـنـيـ فـاهـزـزـتـ هـزـةـ الـرـجـاهـ يـمـدـونـيـ،ـ لـاـ هـزـةـ الـخـوفـ يـهـدـنـيـ،ـ أـوـ رـعـدةـ
ـالـأـسـفـ يـضـوـيـ.

أجنبي عزيزتي ، شفيفتي ، أي حرم أتيت ١٩
 دعوني أذهب يا بروت وود فلست على ما يرام أني شخص آخر الآن وما تحدث إليك
 فيما ألمت به في وقت آخر سوف أكتب إليك فلاتنقل عليَّ اليوم . لا تخدعني لا تخدعني
 فلست في ذاكرتي عماد قالت وأنا أتحدث إليها البذلة الملاصبة وما إذا كانت في حاجة
 إلى رفيق يلبي نداء قلبها فافتتحت أمامي لا أول لها ولا نهاية أخرب فيها بأحناً مما أريده
 لأن الله في لحظة واحدة .

أني لا أتحمل روئتك يا أجنبي على هذه الحال المؤلمة والظن يراودني أني مبعثه .
 فتاتي العزيزة بيل دروب النسبة التي أملك دعوني أقصيك المموم في عقائلك وإذا كنت في حاجة
 إلى العون أو النصيحة فاني أدعى هذه وأقدم تلك وإذا قلتك ينوه تحت نقل حل فتلذريني
 أخفف من وطأته إذ لم أعيش يا أجنبي اذا لم تكون حبائي ملك يديك ١٩
 كان كل ما تبنته من حديثها «اعفني الآآن» : «فاني فخمن آخر» «في غير ذلك الوقت» .
 ورحت أناجي نفسى هل كان الحامى حماقة دفعتني إليها الأثرة فأخرفت عن جادة الصواب
 أو هو القبس من شعاع أمل أنوار ظلال نسمى اليائسة فافتتحت مسالك الحياة أمامي ولم
 أجرؤ على التفكير في السير فيها ؟

يحب الافساح أكثر مما أبنت فليس بوسعي أن أدعك تتركيني على حالك هذه .
 استخلفك بحق السنوات يا أجنبي ألا تدعى كلًاً مما يخطئ ، فهم الآخر بعد هذه السنين
 الطوال وما تخللها من أحداث .

يمضي أنت كلام وأين ذاك كان برأسك فكر تحددين به فأيني عنه وليس يقتدوري أن
 أتخلى عنك بعض اختياري لراعي غيري وأقبح في عرلي بدور نظارة المسرحية يتفرجون
 على السعداء . أبعدى هذا الفكر عن رأسك فاني لا أستحسن موجودة قلبك على تقدماست
 ولم يكن عبئًا وأنت لم تعلي بعناد حبي وصفائه .

هدأت ثائرتها وبعد لحظة قصيرة أجهش بخوفي وجهها الشاحب وقالت في صوت خفيض
 منقطع وإن كان واضحًا جليًا : إني أدين لك بهذا وأرده لقاء صداقتك لي بـ بروت وود ،
 ولا يراودني تردد في أن أحبرك بأفكك خطئي وإن أزيد . وإذا احتجت إلى العون والمشورة
 في المستقبل فقد تلتها منك ، وإذا كنت قد هفخت في وقت ما فقد تغيرت الآف من هذا
 الشقاء ، وإذا كان قد أبهظ كاهلي حل فقد أقيمت به وتنفست المصعداء ، وإذا كنت أقيم على سر
 ألمويه في قوادي فلم يعد حديثاً دلي وليس هو ما نحمدس به ، ولن أستطيع الكشف عنه

أو اقتسامه مع غيري . إنـه لي وحدي ومحبـ أنـ يظلـ كذلك .
 أرجوكـ أبقاءـ نـظةـ واحدةـ ياـ آجنسـ إذـ هـتـ بالـ انـطـلاقـ فيـ مـيلـهاـ ولـكـنـيـ حلـتـ دونـهاـ
 والـ حـيلـ وـ طـرقـ خـصـرـهاـ بـ ذـرـاعـيـ وـ هـلـتـ «ـ عـلـىـ سـنـينـ ١ـ »ـ «ـ إـنـهـ لـيـسـ أـمـراـ جـدـيدـاـ »ـ إـنـ
 أـفـكـارـ جـدـيدـةـ وـ آمـلاـ مـتـفـتحـةـ كـانـتـ تـصـفـ بـ رـأـيـ وـ تـغـيرـ الـ حـيـاةـ الـ تـيـ أـحـبـهاـ وـ تـلـوـهاـ
 بـلـونـ جـدـيدـ :

عـزـيزـيـ آـجـنسـ : يـامـنـ أـجـلـ وـ أـكـبرـ وـ مـنـ أـحـبـ بـكـ جـوارـسيـ عـندـ ماـ جـئـتـ إـلـىـ مـنـزـكـ
 كـانـ فـيـ رـأـيـ حـلـمـ جـمـيلـ يـدـاعـيـ وـ لـذـاـ قـالـ عـقـبةـ تـحـولـ بـيـ وـ بـيـنـ السـرـ الـ تـكـمـلـيـنـ لـنـ تـكـوـنـ،
 لـآنـ فـيـ مـقـدـورـنـاـ طـيـهـ فـيـ ذاتـ صـدـرـنـاـ مـدىـ الـعـمرـ وـ حتىـ لـغـيـعـ.ـ وـ لـكـنـ يـاـ آـجـنسـ إـذـ كـانـ
 هـنـاكـ أـمـلـ مـتـفـتحـ أـمـاـيـ فـادـعـكـ بـأـكـثـرـ مـنـ أـخـتـ فـانـتـ تـخـلـفـيـنـ عـنـ الـأـخـتـ اـخـلـافـاـ بـيـنـاـ،ـ
 تـسـاقـطـ دـمـوعـاـ هـنـاءـ سـرـيـعـةـ وـ لـكـنـاـ لـمـ تـكـنـ كـالـيـ سـكـبـتـهاـ فـيـ آـخـرـ مـرـةـ فـرـأـيـتـ بـرـيقـاـ
 مـنـ الـرـجـاءـ يـشـعـ خـلـاـلـهـاـ

لـهـدـكـتـ لـيـ دـاءـاـ خـيرـ هـادـيـ وـ خـيرـ نـصـيرـ إـذـ كـنـتـ فـدـ اـهـمـتـ بـنـفـسـكـ أـكـثـرـ مـنـ
 اـهـمـاـكـ فـيـ وـنـحـنـ زـعـيـ طـفـولـتـاـ سـوـيـاـ هـنـاـ إـذـاـ لـتـحـوـلـ شـغـفـ بـكـ وـ لـكـنـيـ لـقـيـتـ العـطـفـ مـنـكـ
 دـائـماـ أـكـثـرـ مـاـ لـقـيـتـهـ مـنـيـ وـ كـانـ لـابـدـ لـيـ مـنـكـ أـغـذـيـ بـكـ آـمـالـ الصـباـ وـ أـدـفـعـ الـطـيـةـ عـنـهاـ وـ رـغـبـيـ
 فـيـ وـجـودـكـ بـجـانـيـ لـتـكـوـنـ مـوـضـعـ ثـقـيـ وـ تـقـيـقـ الـقـيـدـ أـدـفـعـ بـهـاـ غـائـلـةـ الـأـيـامـ عـنـيـ،ـ عـلـكـتـيـ هـذـهـ
 الرـغـيـةـ فـصـارـتـ طـبـيـعـةـ ثـانـيـةـ وـ إـنـ الـآنـ أـفـعـ لـبـكـ مـنـ قـلـيـ فـيـأـخـذـهـ مـنـهـ أـوـلـ وـأـرـفـعـ مـكـانـ كـاـ
 كـتـ دـائـماـ.

لـازـلتـ تـحـ الدـمـعـ — دـمـعـ الـ فـرـحـ لـاـ دـمـعـ الـ لـهـرـ — وـ تـلـقـتـ بـيـ فـوـقـ لـمـ أـكـنـ
 لـأـعـهـدـهـاـ فـيـهاـ مـنـ قـبـلـ فـطـوفـتـهاـ ذـرـاءـيـ وـ أـنـاـ لـأـطـلـ أـهـمـاـ مـسـتـضـمـنـيـ بـتـكـ التـقـوىـ .ـ
 عـنـدـ مـاـ أـحـبـتـ دـورـاـ — وـ أـغـرـمـتـ بـهـاـ كـاتـبـيـنـ يـاـ آـجـنســ
 لـمـ وـأـنـاـ سـعـيـدـ بـهـذـهـ المـرـفـةـ .ـ

حـتـىـ فـيـ ذـلـكـ الـوقـتـ عـنـدـمـاـ أـحـبـتـهـاـ هـنـ حـيـ كـانـ ثـاقـصـاـ مـاـ لـمـ يـكـلهـ عـطـفـكـ عـلـيـاـ وـ تـدـ
 شـلـفـيـ هـذـاـ المـعـافـ فـلـاـ فـقـدـرـاـ يـاـ آـجـنسـ لـمـ تـمـدـ حـيـاتـيـ ذاتـ قـيـمةـ مـنـ غـيرـكـ .ـ
 زـادـتـ اـتـصـانـهـاـ بـيـ وـهـيـ بـيـ ذـرـاءـيـ فـرـادـتـ قـرـبـاـ مـنـ قـلـيـ وـقـدـ وـضـعـتـ يـدـهـاـ الـرـثـةـ عـلـيـ
 قـلـيـ وـعـيـانـاـ الـنـدـيـتـاـنـ بـلـؤـرـ الدـمـعـ تـشـعـانـ بـالـبـرـيقـ مـنـ خـلـالـهـ وـهـيـ تـنـظـرـ إـلـىـ عـيـنـيـ .ـ
 غـادـوـتـ وـأـمـقـيمـ عـلـىـ حـبـكـ يـاـ عـزـيزـيـ آـجـنسـ وـظـلـلـتـ فـيـ غـربـيـ عـلـمـاـ هـذـاـ الـلـبـ وـعـدـتـ
 وـأـنـاـ لـهـ حـافظـ وـ حـارـسـ .ـ

حـاـلـتـ حـسـنـتـ أـنـ أـحـكـيـ طـاـعـةـ عـنـ الـعـرـاجـ الـتـيـ خـفـتـ غـارـهـ وـ الـنـاهـيـةـ الـتـيـ وـمـلـتـ الـبـهـاـ

حاولت أن أكشف لها عن دخلة قلي وعقمي في صدق وحاولت أن أطلها على ما كنت أرجو وكيف وصلت إلى معرفة قسي وقصها وكيف جاءت لأدل إلى هذه النتائج الطيبة وكيف جئت إلى ذلك المكان حتى في هذا اليوم وفي هذا الاحسان الذي أحمله وقلت مناجيًّا قسي إذا كان في حبها لي ما يحملها على الرواج مني فما هذا الحسن في أو منيع أنيه عدا ما أدخل لها من حب همك أنسجه الععن التي جزناها معًا ، ذكراً المأوى الذي ذفناه . ومن هنا فقد كشفت عنه . أوجه يا آجنس إذ في ذلك المعهد كان روح زوجي الطفولة تنظر إليها من عينيك تومن على مثلكما راضية عن فعالها فأشهدتني عن طريقة إلى ذكريات حلقة رقيقة هي ذكريات الرحلة التي ذوت في كلامها .

إني سعيدة يا ترور وود وقلي مفعم هناً ولكن لدى شيء واحد يجب أن أفضي به إلىك . وماذا عاهد يكون يا عزيزي ؟

فوضعت راحتها الرقيتين على كفي ونظرت إلى وجهي في هذه وفالت : ألم تعلم بعد ما هو ؟ أني أخشى التفكير فيما عاهد يكوف . أخبرني أنت يا عزيزي . لقد أحبتنا طيلة حياتي . آه لقد كنا سعداء . نعم كنا سعداء ولم تكن الدمعة التي ذرفنا في عنتاب جراءً وفاتها (وكانت دمعها أفرز من دموعي) على ما كنا قد قامينا ولسكنها دموع السعادة البالغة التي شملتنا ولن تعود الأقدار فترى بيننا مرة أخرى .

سرنا معًا في أمسية تلك الليلة الثانية في المقلول وكان الهواء البارد وكأنه يشاركتنا السعادة التي نعم بها والابن الذي يضم قلوبنا . وبدأت النجوم الباركة تتلاًّ ونحن نخطو المروها ناظرين إليها مسجعين أثر ما كرمن حمه الذي هدانا إلى هذا الكون . ولما لئنا موعد البيل وعدنا كنا نقف معًا في النافذة العتيقة والقمر مشرق وقد تعلقت به عيناً آجلس الماء ثمان ونظرت إلى لافتارتها وامتد الطريق طويلاً أمامي ودرحت أسرح الطرف فيه فأبصرت شيئاً خلقتَ الثواب أجمده المير الطويل لا أنيس له في وجودته ولا رفيق له في وحشته . وكان يجب أن يعود إلى ينادي قلبي الذي ينبع بين جنبي فهو قلبه . وفي اليوم التالي وقد أوشك وقت العشاء ذهبنا لقابل عمي ففاتت لنا بيعوفي لتأديمة أنها قد صعدت إلى مكتبي في الطابق العلوى . وكان عاً يشيخ كبر ياماً أن تكون يبحوني على أهمية الاستعداد لتجنب أو أمري وتلي ندائٍ فوجدناها وقد وضعت عربنتها وجلست بمحوار المدفع .

« كان الله في عون » ! قالها عمي وهي تظل من خلال النفق من عساها تكون تلك الفتاة التي تعود بمحبتك فأجابت أنها آجنس وتبنا أمورنا في يادي ، الأمر على الأَنزِيج ستار عن هذا الدور فنوات الماء مهني واظهرت إلى نظرة ماؤها لازل والرجل عتمدا

قلت «آجلن» ولكتها لما رأت أن ليس في وجهي ما ينم عن مهربتي رفعت عروشاتها
يايّة ودمعك أتفها بها . ورغم ذلك حيث عمّي آجلن في حرارة وسرحان ما أخذنا مكاننا
على هائدة الشاه في غرفة الامتناع المفخأة في الطابق السفلي ووضعت صفي عروشاتها مرقين
أو ثلاث مرات لتلقي على نظرة أخرى ولكنها سرحان ما كانت تعود فترفعها . وقد خاب
ذلكما فندعك أنهاها بها فلم يرق هذه المركبة مستدركة زوج عمّي لأنّه كان يدعها فألاً ميشاً .
وقلت لها بعد تناول الشاه بهذه المناسبة يا همّاه لقد كنت ألمحتك أن آجلن عما أخبرني
فأجابـتـتـ لـقدـ أـخطـأـتـ أـفـأـ يـاتـرـوـتـ فـلـمـ تـفـ بـوـعـدـكـ بـالـاقـعـاءـ إـلـيـ وـلـمـ اـسـطـعـ وـجـهـهاـ بـلـوـنـ قـرـمـيـ
إـنـ وـاتـقـ أـنـكـ لـتـ غـاصـبـةـ يـاـ هـمـّـاهـ ،ـ بـلـ انـكـ لـمـ تـعـضـيـ إـذـاـ عـلـتـ أـنـ آـجـلـنـ سـعـيـدـةـ بـعـاـ
ارتبـطـتـ بـهـ .ـ فـقـالـتـ عـمـيـ هـذـهـ وـسـخـرـ

فـلـاـ ظـهـرـتـ بـعـظـيرـ المـخـابـينـ المـحـرـجـ رـأـيـتـ أـنـ مـنـ لـثـيرـ أـلـاـ أـسـتـرـمـلـ فـيـ حـدـيـثـيـ فـأـطـيلـ
ضـيـقـهـ بـفـلـوـقـتـ آـجـلـنـ بـذـرـاعـيـ وـوـقـنـاـ خـلـفـقـدـهـاـ وـانـهـبـنـاـ عـلـيـهـاـ فـصـفـقـتـ فـيـ شـدـةـ وـنـظـرـتـ
مـنـ خـلـالـ مـنـظـارـهـ وـانـتـشـتـ بـبـشـرـةـ جـنـوـنـيـةـ مـنـ الفـرـحـ لـمـ أـرـهـاـ فـيـهـاـ مـنـ قـبـلـ
لـمـ أـسـطـعـ أـنـ أـكـشـفـ فـيـ حـدـيـثـيـ القـمـيـ الـأـخـيـرـ مـعـ حـمـيـ إـذـاـ كـانـ كـانـ دـرـتـ هـذـهـ
المـؤـأـرـةـ الشـرـفـةـ أـوـ هيـ حـقـاـ أـخـطـأـهـاـ التـوـفـيقـ فـيـ فـهـمـ عـقـلـيـ فـقـدـ كـانـ كـافـيـ أـنـ أـخـبـرـتـيـ بـأـنـ
آـجـلـنـ عـلـىـ وـشـكـ اـرـفـافـ وـأـنـاـ الـآنـ أـعـرـفـ أـكـثـرـ مـنـ أـيـ دـخـلـ مـدـىـ صـدـقـ مـاـقـالـتـ عـنـيـ.
زـفـنـاـ بـعـدـ ذـلـكـ بـأـسـبـعينـ وـكـانـ صـيـرـفـتـنـاـ عـرـسـنـاـ الـهـادـيـ «ـتـرـادـلـ»ـ وـ«ـعـرـفـيـاـ»ـ وـدـكـورـ
وـمـسـ اـسـتـرـوـجـ وـاسـتـأـذـنـاـ الصـيـوـنـ الـكـرـامـ وـشـوـهـمـ تـقـبـيـشـ بـشـرـآـ وـسـرـورـآـ وـانـطـلـقـنـاـ فـيـ
سـبـيلـنـاـ .ـ فـلـاـ اـسـتـقـرـتـ بـيـنـ ذـرـاعـيـ وـتـمـلـقـتـ بـيـ ضـمـمـتـ مـلـهـمـيـ وـبـنـوـعـ وـحـيـ إـلـيـ صـدـريـ
وـكـانـ حـمـورـ حـيـاتـيـ وـمـدـارـ نـفـسيـ هـيـ زـوـجـيـ مـلـكـ يـدـيـ وـالـيـ يـقـومـ حـيـ طـاعـلـىـ مـسـخـرـةـ عـتـيدـةـ .ـ
قـالـتـ آـجـلـنـ .ـ زـوـجـيـ لـعـزـيزـ :ـ الـأـنـ يـكـنـيـ أـنـ أـدـعـكـ بـذـلـكـ الـأـمـمـ إـنـ بـنـفـسـيـ أـمـرـاـ أـرـيدـ
أـنـ أـنـهـيـ بـهـ الـبـلـكـ .ـ أـسـعـنـيـ يـاحـيـيـتـيـ .ـ

لـقـدـ عـاـ وـتـرـعـ لـبـلـهـ أـنـ قـاـلـتـ دـوـرـاـ وـهـاـ نـهـيـ الـقـيـ أـرـسـلـكـ إـلـيـ لـعـمـ لـقـدـ بـعـثـتـ بـيـ الـبـلـكـ
وـأـخـفتـ وـلـقـدـ أـخـبـرـتـيـ أـنـهـاـ تـرـكـ لـيـ تـرـادـلـ .ـ فـأـجـابـتـ أـفـنـتـ مـاـذـاـ كـانـ ذـلـكـ التـرـاثـ فـأـجـبـتـ :ـ
إـنـ عـرـفـهـ لـقـدـ شـدـدـتـ إـلـيـ جـانـيـ الـرـوـجـةـ الـتـيـ طـالـاـ أـحـبـتـيـ ،ـ لـقـدـ أـخـبـرـتـيـ أـنـ هـاـ رـجـاءـ أـخـيرـ
أـرـدـتـ لـوـأـنـ أـحـقـتـهـ فـهـيـ تـرـكـ بـيـ يـدـيـ الـوـدـيـعـةـ الـتـيـ أـبـقـتـ عـلـيـهـاـ دـائـمـاـ .ـ .ـ .ـ وـتـدـكـانـتـ
الـوـدـيـعـةـ .ـ .ـ .ـ فـأـجـابـتـ وـأـمـلـ أـنـ أـمـلـ هـذـاـ الفـرـاغـ .ـ

وـأـلـقـ آـجـلـنـ رـأـسـاـ الصـفـيرـ عـلـىـ صـدـوـيـ وـبـكـتـ وـبـكـتـ مـعـهـاـ وـنـحـنـ فـيـ فـضـلـ الـسـعـادـةـ .ـ

سـلـمـ بـارـ صـرـوـسـ الـدـهـرـ طـيـ